... وَهَكَذا يَكُونُ القَضَاء...

في السنة العاشرة للهجرة ، بعث رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب إلىٰ اليمن ، وبعث خالد بن الوليد في جُندٍ أخر ، وقال: «إن التقيتما فالأمير عليٌّ»[1] فقال عليّ رضي الله عنه: تبعثني إلىٰ قومٍ أسنّ منيّ وأنا حديثُ السنّ لا أبصر بالقضاء؟!

قال: فوضع يده علىٰ صدري وقال: «اللهم ثبّت لسانه واهْد قلبه ، يا عليّ، إذا جلس إليكَ الخصمان فلا تقْضِ بينهما حتىٰ تسمع من الآخر كما سمعتَ من الأول ، فإنك إذا فعلتَ ذلك تبيّن لكَ القضاء».

قال: فما اختلف عليَّ قضاءٌ بعد ـ أو ما أشكلَ عليَّ قضاءٌ بعدُ[2] ـ

وفي رواية ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ أوصىٰ علياً بقوله: «يا عليّ! اجعل حكم الله بين عينيك وحكم الشيطان تحت قدميك»[3].

وعن عليّ رضي الله عنه قال: لما نفذني النبي ﷺ إلىٰ اليمن ، قال: «يا عليّ! الناس رجلان ، فعاقلٌ يصلح للعفو ، وجاهلٌ يصلح للعقوبة»[4].

ثم يؤكد النبيّ ﷺ علىٰ الهدف من القضاء.. والدعوة بشكل عام ، فيقول في معرض وصاياه لعليّ رضي الله عنه: «يا عليّ! لأن يهديَ الله علىٰ يديكَ

---

(١) سيرة ابن هشام: ٤/ ٣١٩.
(٢) مسند أحمد: ١/ ١١١.
(٣) كنز العمال: ٥/ ٨١٢.
(٤) كنز العمال: ٥/ ٧٧٢.

رجلاً خيرٌ لكَ مما طلعتْ عليه الشمس»[1].

فماذا كانت نتائج وصايا رسول الله ﷺ لعليّ وأدعيته له؟!

قال عليّ: لما بعثني رسول الله ﷺ إلىٰ اليمن حفر قوم زُبْيَة[2] للأسد، ووقع فيها الأسد، فوقع فيها رجل وتعلّق برجل وتعلّق الآخر بآخر حتىٰ صاروا أربعةً، فجرحهم الأسد فيها فهلكوا، وحمل القوم السّلاح فكاد أن يكون بينهم قتال، قال: فأتيتهم فقلت: أتقتلون مائتي رجلٍ من أجل أربعة أناسٍ، تعالوا أقضِ بينكم بقضاءٍ، فإن رضيتموه فهو قضاءٌ بينكم، وإن أبيتم رفعتم إلىٰ رسول الله ﷺ وهو أحقّ بالقضاء، قال: فجعل للأول ربع الدّية، وجعل للثاني ثلث الدية، وجعل للثالث نصف الدية وجعل للرابع الدية، وجعل الديات علىٰ من حفر الزّبية علىٰ القبائل الأربعة!!

فسخط بعضهم ورضي بعضهم، ثم قدموا على رسول الله ﷺ فقصّوا عليه القصة، فقال: «أنا أقضي بينكم» فقال قائل: لكن علياً قد قضىٰ بيننا، فأخبره بما قضىٰ، فقال صلوات الله عليه: «القضاء كما يقضي علي»[3].

أجل! سلام الله عليك يا رحمة مهداة.. ويا سراجاً منيراً!

أعني الرسولَ فإن الله فضّله ... علىٰ البريّة بالتقوىٰ وبالجودِ
مباركٌ كضياء البدر صورته ... ما قال كان قضاءٌ غير مردودِ

* * *

(١) مستدرك الحاكم: ٣/ ٥٩٨.
(٢) أي: حفرةً تُحفر للأسد، وذلك من أجل صيده.
(٣) مسند أحمد: ١/ ٧٧.